نصار اسعد نصار ☆

جامع البيان بين الماثور والراى

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، واله وصحبه ومن تبعه باحسان الى يوم الدين، وبعد-

انزل الله تعالى القران الكريم، بلسان عربى مبين، منه ايات متشابهات لايعلمها الا الله تعالى واخر محكمات، هن ام الكتاب بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما لايمكن ان يعلم الابيانه، قال تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما انزل اليهم ولعلهم يتفكرون) . وقال ايضا (وما انزلنا عليك الكتاب الالتبين لهم الذى اختلفوا فيه .....) ومن المحكمات ما تعرفه العرب بلغتها، لانه (كتاب فصلت اياته قرانا عربيا" لقوم يعلمون) وهذا القسم الاخير مست الحاجته الى بسطه وتوضيحه للناس حيث دخل فى الاسلام كثير من غير العرب اوالاحتكاك باليهود والنصارى، واسلام بعضهم مع ما يحمل كل هولاء من الكار وثقافات جعلت العلماء يبذلون جهودهم لبيان مراد الله فى كتابه بسبب الاحوال المستجدة .

لهذا برز من الصحابته علماء فسروا ايات كتاب الله تعالى، ومن اشهرهم وأكثرهم تفسيرا عبدالله ابن عباس، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم اجمعين. (١)

وبعد عصر الصحابته توسع التفسير كثيراً حيث تتلمذ عليهم علماء من التابعين، من اشهرهم مجاهد وعكرمته وسعيد بن جبير والحسن البصرى وتتلمذ على هولاء ايضا" علماء من اتباع التابعين وهكذا تسلسل هذا العلم . حتى كان فى كل عصر علماء يفسرون كتاب الله تعالى.

بعد ذالك تحط بنا الرحال عند ابى جعفر الطبرى، صاحب الموسوعته التفسيريته، التى صب فيها عصارة فكره، وخلاصته جهده، وضمنها ميراث العلماء السابقين وجهودهم، منقوله الينا باسانيدها الى قائليها، ليكون بذالك كتابه (جامع البيان عن تاويل اى القران) النتيجه التفسيريه للقرون الاولى.

الحض على العلم بتفسير القران الكريم :

ان علم التفسير من اشرف العلوم لان فيه بيان كلام الله تعالى، لذلك نجد الايات تحض على فهم القران الكريم، وتدبر اياته يقول ابو جعفر رحمه الله تعالى: (وفى حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما فى اى القران الكريم من المواعظ والتبيان، بقوله جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم (كتاب انزل اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولو الالباب). وقوله (ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون قرانا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون). وما اشبه ذلك من اى القران الكريم، التى امر الله

☆ الطالب فى الدكتوراة فى قسم الدراسات الاسلاميه بجامعه بنجاب

عباده وحثهم فيها' على الاعتبار بامثال القران والاتعاظ بمواعظه' ما يدل على ان عليهم معرفته تاويل ما لم يحجب عنهم تاويله من اياته' لانه محال ان يقال لمن لايفهم ما يقال له' و لا يعقل تاويله' اعتبر بمالا فهم لك به' ولا معرفته من القيل والبيان الاعلى معنى الامر بان يفهمه ويفقهه' ثم يتدبره ويعتبر به) والصحابته طبقوا هذا التكليف الالهى بتدبر ايات القران الكريم عمليا فى حياتهم' فكانوا اذا تعلموا عشر ايات لم يتجاوزوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلموا القران والعمل جميعا. (٢)

جامع البيان بين المأثور والراى من التفسير:

ان مولف (جامع البيان عن تاويل اى القران) او ما يعرف ب (تفسير الطبرى) هو ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى' الامام الجليل' المجتهد المطلق' صاحب التصانيف المشهورة' وهو من اهل امل طبرستان' ولد بها عام (٢٢٤هـ) اربع وعشرين ومائتين من الهجرة' ورحل من بلده فى طلب العلم وهو ابن اثنتى عشرة سنته و فالك سنته ست وثلاثين ومائتين' وطوف الاقاليم' فسمع بمصر والشام والعراق ثم القى عصاه واستقر فى بغداد وبقى فيها الى ان مات سنته (٣١٠هـ) عشر وثلاثمائته (٣)

وهذا التفسير الذى يقع فى ثلاثين جزا له اوليه زمنيه واوليه صناعيه وفنيه'

اما الاوليه الزمنيه فهو اقدم تفسير وصل الينا' وما كان قبله فقد ضاع بمرور الزمن الاما وجد فى ثنايا هذا التفسير من اثار.

واما الاوليه الفنيه والصناعيه و ذلك بما امتازت به طريقه فى العرض' حتى اخرجه للناس كتابا له قيمته واهميته (٥)

ان المطالع لهذا التفسير يلا حظ كثرة الروايات المسوقه باسانيدها الى قائليها من الصحابه والتابعين ومن جاء بعدهم من علماء التفسير.

ونتج عن هذا اعتقاد بان تفسير الامام الطبرى هو (تفسير بالما ثور المحض) بمعنى ان عمل الامام مقتصر على نقل الروايات فقط دون اى جهد فكرى مند (٦)

وهذا غض لشخصيته الامام العلميه وانتقاص لعمله التفسيرى . والحقيقه ان الامام رحمه الله تعالى: مفسر ولغوى وفقيه واصولى وعالم بالقراء ات وغير ذلك من العلوم. يقول السيوطى: (وكتابه من اجل التفا سير واعظمها' فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك تفاسير الاقدمين) (٧) وقال الامام النووى: (اجمعت الامته على انه لم يصنف مثل تفسير الطبرى) (٨)

وقال ابو حامد الاسفرا ينى: (لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرا) (٩)

والهدف من هذا المقال بيان ان تفسير الامام الطبرى ليس تفسيرا بالمأثور المحض فحسب .

فكما قال الامام السيوطى انه يوجه الاقوال ويرجح بينها ..... وقوله ايضا: ان تفسيرالامام الطبرى جمع بين الروايه والدرايه - فسنتكلم ان شاء الله تعالى عن جانبى الروايته والدرايته فى تفسير الامام الطبرى اى

من جانبين : الاول عنايته بالمأثور' والثاني: عنايته بالراى

الجانب الاول : عنايته بالتفسير بالمأثور

تعريف المأثور

هو البحث عن ايات تبين معنى ايات اخرى' او ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من احاديث تفسر ايات من القران الكريم' او ما نقل عن الصحابه والتابعين ومن جاء بعدهم من العلماء من اقوال يفسرون بها ايات كتاب الله تعالى- (١٠)

والامام الطبرى بين فى خطبته تفسيره الطرق الموصله الى تفسير القران الكريم حيث يقول: (القول فى الوجوه التى من قبلها يوصل الى معرفه تاويل القران ونحن قائلون فى البيان عن وجوه مطالب تاويله قال الله جل ذكره وتقدست اسماؤه' لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم...) وقال ايضا جل ذكره: (وما انزلنا عليك الكتاب الاتبين لهم الذى اختلفوا فيه..) وقال (هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات..) فقد تبين ببيان الله جل ذكره ان مما انزل الله من القران على نبيه صلى الله عليه وسلم' مالا يوصل علم تاويله الابيبان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك تاويل جميع مافيه من وجوه امره - واجبه وندبه وارشاده.... وما اشبه ذلك من احكام ايه التى لم يدرك علمها الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وهذا وجه لا يجوز لاحد ان تقول فيه الابيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم وان منه مالا يعلم تاويله الا الواحد القهار وذلك ما فيه من الخبر عن احوال حادثته واوقات اتيته' كوقت قيام الساعه' والنفخ فى الصور ونزول عيسى عليه السلام وما اشبه ذلك- وان منه ما يعلم تاويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القران.... وقال ابن عباس: (التفسير على اربعته اوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها' و تفسير لا يعذر احد بجهالته' و تفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله...) (١١)

فهذه وجوه التفسير بالما ثور ولن نتعرض لتفسير القران بالقران او بالسنته لان هذا مما لا خلاف فيه وسيكون الكلام مقتصرا على موقفه من اقوال العلماء من حيث مدى التزامه بها او ردها وسبب ذلك اما حجيته قول الصحابى فامر اخر يراجع فى كتب اصول الفقه .

ان من منهج الامام الطبرى عندما يفسر ايه او جمله من ايته ان يورد اقوال العلماء باسانيدها بعد ذلك يرجح قولا - مع تعليله الترجيح - يراه هو الاصح فى معنى الايه ويقصد الامام الطبرى من استعراضه الروايات الكثيرة والاقوال المتعددة' استقصاء' ما ورد فى مدلول اللفظ المفرد' او الجمله او الايه الكريمه من معان متحدة' او متغايرة - توقيفيه كانت او لغويه او ما صدر عن ائمه التفسير الثقات من اراء هى ثمرة الاجتهاد بالراى وهو يفعل ذلك- اى استقصاء الاراء وجمعها وتدوينها- بعيته نقدها وتمحيصها وترجيح ما هو اقوى دليلا او رفضها جملته- اذلم تعتمد اصلا شرعيا ثابتا- ثم يقيم الدليل على ما يذهب اليه جازما غير متردد' حتى لم يسلم من نقده كبار التابعين كمجاهد وغيره (١٢)

مدى قبوله او رفضه لاقوال العلماء:

يتبع الامام الطبرى قواعد يلتزم بها فى قبوله او رفضه لاقوال العلماء واعرض فيما يلى اهمها

○ (١) انه يناقد الاقوال ان دل عليه دليل

فبعد استعراضه الاقوال ان وجد دليلاً من ظاهر التنزيل او الحديث اوحجته عقليته مسلم بها يشهد لاحدها اخذ بذلك القوله

فعند تاويله لقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) ذكر خمسه اقوال ثم عقب بقوله (واولى الاقوال بالصحته ما ذكرنا عن ابن عباس لان ذلك اصح الاسانيدروى عن صحابى فيه قول مخرجا واشبه الاقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل و ذلكان قوله (ولا تجهر بصلاتكـ..) عقيب قوله (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن....) وعقيب تقريع الكفار بكفرهم بالقران وذلك بعدهم منه ومن الايمان فان كان ذلك كذلك فالذى هو اولى واشبه بقوله (ولا تجهر بصلاتكـ..) ان يكون من سبب ما هو فى سياقه من الكلام مالم يات بمعنى يوجب صرفه عنه او يكون على انصرافه عنه دليل يعلم به الانصراف عما هو فى سياقه فاذا كان ذلك فتاويل الكلام قل ادعوا الله اوالرحمن ايامـا تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهربا محمد بقراء تك فى صلاتك ودعائك فيها فيوذ يك المشركون ولا تخافت فيها فلا يسمعها اصحابكـ...) (١٣)-

ب- عدم اجازته الخروج عن مجموع اقوالهم اذا دل على احدها دليل الى قول اخر ولو كان له وجه من الصحته

يقول عن معنى الايته السابقته : (ولولا ان اقوال اهل التاويل مضت بما ذكرت عنهم من التاويل وانا لانستجيز خلافهم بما جاء عنهم من التاويل ان يقال : ولا تجهر بصلاتك التى امرناك بالمخافه بها وهى صلاة النهار لانها عجماء ولا يجهر بها ولا تخافت بصلاتك التى امرناك بالجهر بها وهى صلاة الليل فانه يجهر بها وابتغ بين ذلك سبيلا) بان تجهر بالتى امرناك بالجهر بها وتخافت بالتى امرناك بالمخافته بها ولا تجهر بجميعها ولا تخافت بكلها. فكان ذلك وجها غير بعيد من الصحته ولكنا لانراه صحيحا لاجماع الحجته من (اهل) التاويل على خلافه) (١٤)

ج- وحول نفس المعنى يقول عند تفسير قوله تعالى (وهزى اليك بجذع النخله تساقط عليك رطبا جنيا) ٢٥- مريم (وقد كان لو ان المفسرين كانوا فسروه كذلك وهزى اليك رطبا بجذع النخله على جذع النخله وجها صحيحا ولكن لست احفظ عن احد فسره كذلك) (١٥)

(٢) ترك الاقوال جميعا ان لم يشهد لاحدها دليل معتبر شرعا.

يتبع الامام الطبرى عند تاويله ايات كتاب الله تعالى الدليل فحيثما عثر عليه اخذ به فان وجد قولا يشهد له ظاهر التنزيل او الحديث او حجته عقليه فسره به والا اجتهد برايه ورجح ما يراه مناسبا فى تاويل الايه.

فعند تفسيره لقوله تعالى (..... وقل انى انا النذير المبين كما انزلناعلى المقتسمين الذين جعلوا القران

عضين) ٨٩ـ٩٠ ـ الحجر. خالفهم في المراد به (المقتسمين) فبعضهم قال : هم اليهود والنصارى وفريق ثان قال هم رهط من قوم صالح عليه السلام وفريق ثالث قال : هم الذين اقتسموا طرق مكيته ايام قدوم الحجاج عليهم ، بعد ذلك يعقب بقوله: (والصواب من القول في ذلك عندي ان يقال ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعلم قومه الذين عضوا القران فقر قوه انه نذير لهم من الله وعقوبته ان يحل بهم على كفرهم وبهم وتكذيبهم نبيهم ماحل بالمقتسمين من قبلهم ومنهم وجائز ان يكون عنى بالمقتسمين اهل الكتابين التوراة والانجيل لانهم اقتسموا كتاب الله فاقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها وكذبت بالانجيل والفرقان وكذلك النصارى اقرت بالتوراة والانجيل وكذبت ببعضها وبالفرقان ، و جائز ان يكون عنى بذلك المشركون من قريش بعضهم سماه سحرا وبعضه سماه كهانه ..... فاذا لم يكن في التنزيل دلاله على انه عنى به احد الفرق الثلاثه دون الاخرين ولاالى خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولاالى فطرة عقل وكان ظاهر الايه محتملا ماوصفت وجب ان يكون مقضيا بان كل من اقتسم كتاب الله بتكذيب بعض وتصديق بعض فداخل في ذلك لانهم لاشكالهم من اهل الكفر بالله عبرة وللمتعظين بهم منهم عظه) (١٦)

(٣) اهم الاسباب الداعيه لاخذ باحد الاقوال او رفضه لها صحته او لاحد منها:

ـ ١ ـ الاخذ بالقول الذى يدل عليه ظاهر التنزيل.

ـ ١ـ فعند تفسيره لقوله تعالى (لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم...) ٨٩ ـ المائدة

وبعد ذكره لاراء العلماء في الكسوة في قوله تعالى (او كسوتهم) قال (وا ولى الاقوال في ذلك عندنا بالصحته واشبهها بتاويل القران قول من قال عنى بقوله (اوكسوتهم) ما وقع عليه اسم كسوة بما يكون ثوبا فصاعدا لان مادون الثوب لاخلاف بين جميع الحجه ليس مما يدخل في حكم الايه فكان ما دون قدر ذلك خارجا من ان يكون الله عناه بالنقل المستفيض والثوب وما فوقه داخل في حكم الايه اذ لم يات من الله تعالى وحي ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم خبر ولم يكن من الامه اجماع بانه غير داخل في حكمها وغير جائز اخراج ما كان ظاهر الايه متحملته من حكم الايته الابحجته يجب التسليم لها ولا حجته بذلك) (١٧)

ـ ٢ ـ وعند قوله تعالى (واتوا حقه يوم حصاده) ١٤١/ المائدة .

يقول (.....اذا ارادوا بالحصاد الكيل فهذا لايعقل في كلام العرب واذا ارادوا تاويله واتوا حقه بعد يوم حصاده اذا كلتموه فذلك خلاف ظاهر التنزيل لان في ظاهر التنزيل ايتاء الحق يوم الحصاد...) (١٨)

ـ ٣ ـ وعند تفسيره قوله تعالى (اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لايتوبون ١٢٦ التوبه قال واولى الاقوال في ذلك بالصحه ان يقال ان الله عجب عباده المومنين من المنافقين ووبخ هولاء المنافقين بقله تذكرهم وسوء تنبههم لمواعظ الله وجائز ان تكون تلك المواعظ ما يصيبهم من القحط والجوع اوما يرونه من نصر المسلمين او ما يكشف الله من خبث سرائرهم ولا خبر يوجب صحه بعض ذلك دون بعض من الوجه الذى يجب فيه التسليم له ولا

قول اولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو اولا يرون انهم يختبرون فى كل عام مرة او مرتين بما يكون زاجرا لهم ثم لا ينزجرون ولا يتعظون) (١٩)

- ب- اخذه بالعموم اذا لم يشهد لا قوالهم الدالة على التخصيص دليل.

- ١- فعند تفسيره لقوله تعالى(..... الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المومنين) ١١٢/ التوبة يقول (..... فانه يعنى انهم يامرون الناس بالحق فى اديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل وينهونهم عن المنكر وذلك نهيهم الناس فى كل فعل وقوله نهى الله عباده عنه) بعد ذلك نقل اثرين عن الحسن البصرى وابى العالية ثم عقب بقوله (وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا من ان الامر بالمعروف: هو كل ما امرالله به عباده او رسوله واذ كان كذلك ولم يكن فى الاية دلالة على انها عنى بها خصوص دون عموم ولاخبر عن الرسول ولا فى فطرة عقل فالعموم بها اولى) (٢٠)

- ٢- وعند قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما ٧٢/ الفرقان قال الامام الطبرى رحمه الله تعالى(.... فان كان ذلك فاولى الاقوال بالصواب فى تاويله ان يقال والذين لا يشهدون من الباطل لا شركا ولاغناء ولاكذبا ولاغيره وكل ما لزمه اسم الزور لان الله عم فى وصفه اياهم انهم لا يشهدون الزور فلا ينبغى ان يخص من ذلك شى الابحجة يجب التسليم لها من خبر او عقل (٢١) - وعن اللغو من الاية السابقة قال (.... فلاوجه اذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو ان يقال: عنى به بعض ذلك دون بعض اذلم يكن بخصوص ذلك دلالة من خبرا وعقل) (٢٢)

- ج- اخذه بالمدلول اللغوى اذا خالفته اقوالهم.

- ١- عند بيانه معنى الزور واللغو- من (الاية ٧٢ الفرقان) نظر فى المدلول اللغوى للفظ وفسر الاية بناء على ذلك حيث قال: (واصل الزور تحسين الشى ووصفه بخلاف صفته حيث يخيل الى من يسمعه او يراه خلاف ما هو عليه والشرك قد يدخل فى ذلك' لانه محسن لاهله حتى ظنوا انه الحق وهو باطل' ويدخل فيه الغناء لانه ايضا مما يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحل سامعه سماعه والكذب ايضا مما يدخل فى معنى الزور' فان كان ذلك كذلك فالصواب ان يقال والذين لا يشهدون شيئا من الباطل لا شركا ولاغناء' ولاكذبا ولاغيره وكل مالزمه اسم الزور.....) (٢٣)

- ٢- وعند بيانه معنى اللغو من الاية السابقة يقول الامام الطبرى رحمه الله (....واللغو فى كلام العرب هو كل كلام او فعل باطل لاحقيقة له ولا اصل اوما يستقبح فسب الانسان الانسان بالباطل الذى لاحقيقة له من اللغو وذكر النكاح بصريح اسمه لما يستقبح فى بعض الاماكن فهو من اللغو' وكذلك تعظيم المشركين الهتهم من الباطل الذى لاحقيقة له مما عظموه على نحو ما عظموه وسماع الغناء مما هو مستقبح فى اهل الدين..... فتاويل الكلام واذا مروا بالباطل فسمعوه او

راوه مروا كراما" ومرورهم كراما" في بعض ذلك بان لا يسمعوه وذلك كالغناء وفي بعض ذلك بان يعرضوا عنه ويصفحوا وذلك اذا اوذوا باسماع القبيح من القول وفي بعضه بان ينهوا عن ذلك وذلك بان يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه وفي بعضه بان يضا ربوا عليه بالسيوف وذلك بان يروا قوما يقطعون الطريق على قوم فيستصرخهم المراد ذلك منهم فيصرخونهم وكل ذلك مرورهم كراما. (٢٤)

- ٣- ويختار الامام الطبري القول الذي تشهد له اللغة بالصحة كما في قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) .١ الانبياء بقول (.... واولى الاقوال عندي بالصواب ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما من ان معناه ولقد كتبنا في الكتب من بعد ام الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السموات والارض وذلك ان الزبور هو الكتاب يقال زبرت الكتاب وزبرته اذا كتبته وان كل كتاب انزله الله الى نبي من انبياء فهو ذكر فاذا كان ذلك كذلك فان في ادخاله الالف واللام في الذكر الدلالة البينة انه معني به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالايه.... الخ) (٢٥).

- ٢- يرد القول الذي يخالف معناه البناء الاعرابي للكلمة.

فعند تفسيره قوله تعالى: (شجرة تخرج من طور سيناء....) ٢٠- (المومنون) وبعد ان ذكر اختلاف العلماء في معنى (طور سيناء) قال (والصواب من القول في ذلك ان يقال ان سيناء اسم اضيف اليه الطور يعرف به كما قيل جبلا طئ فاضيفا الى طي ولو كان القول في ذلك كما قال من قال معناه جبل مبارك اوكما قال من قال معناه حسن لكان الطور منونا وكان قوله: سيناء من نعته على ان سيناء مبارك وحسن غير معروف في كلام العرب" فيجعل ذلك من نعت الجبل. ولكن القول في ذلك انشاء الله كما قال ابن عباس من انه جبل عرف بذلك وانه الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم وهو مع ذلك مبارك لا ان معنى سيناء معنى مبارك(٢٦)

- د- الاحتكام الى عادة العرب في الكلام

- ١- وذلك عند الاختلاف في تحديد مدلول لفظ ما فانه يحتكم الى مدلول استعمال العرب لذلك اللفظ (٢٧) فعند تفسيره لقوله تعالى (حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين..) ٤٠/ هود - ذكر اقوالهم في معنى التنور فقيل: انه وجه الارض وقيل انه عبارة عن تنوير الصبح" وقيل انه عبارة عن اعلى الارض واشرفها" وقيل انه عبارة عما يختبز فيه بعد ذلك يقول الامام الطبري رحمه الله (واولى الاقوال عندي بتاويل التنور قول من قال: التنور الذي يختبز فيه" لان ذلك هو المعروف من كلام العرب وكلام الله لابوجه الا الى الاغلب الاشهر من معانيه عند العرب الا ان تقوم حجته على شي منه بخلاف ذلك فيسلم وذلك انه جل ثناوه انما خاطبهم بما خاطبهم به لافهامهم معنى ما خاطبهم به...(٢٨)

- ٢- رده القول الذي لا يعرف له وجه في كلام العرب

فعند بيانه معنى (فالق الحب والنوى) من الايته ٩٥ / الانعام يقول (هو الله الذى خلق الحب بمعنى شق الحب من كل ما ينبت من النبات فاخرج منه الزرع والنوى من كل ما يغرس مما له نواة .... اما القول الذى حكى عن الضحاك فى معنى فالق فقول ان لم يكن اراد به انه خالق منه النبات والغروس بخلقه اياه ولا عرف له وجها لانه لا يعرف فى كلام العرب فلق الشى بمعنى خلق. ... (٢٩)

- ٣ - نماذج من مخالفته الامام الطبرى لاقوال بعض العلماء :

- ١ - مخالفته لابن عباس رضى الله عنه واخرين.

فعند تفسيره لقوله تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا) ١٠٢/ الاسراء ذكر اقوال العلماء فقال بعضهم (تستجيبون بحمده) اى بامره قاله ابن عباس عن طريق على ابن ابى طلحه . وهو من اصح الطرق عن ابن عباس فى التفسير- وهنا راى ابن جريج ايضا وقال قتاده (تستجيبون بامره) اى بمعرفته وطاعته بعد ذلك يرجح رايا غير هذين القولين - فيقول: (واولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال معناه: فتستجيبون من قبوركم بقدرته ودعائه اياكم ولله الحمد فى كل حال كما يقول القائل فعلت ذلك الفعل بحمد الله يعنى لله الحمد على كل ما فعلته كما قال الشاعر.

فانى بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع

بمعنى فانى والحمد لله لاثواب فاجر لبست...) (٣٠)

- ٢ - مخالفته اقول مجاهد

عند بيانه المعنيين من قوله تعالى: (افا من الذين مكروا السئيات ان يخسف الله بهم الارض .....) قال الامام الطبرى هم مشركو قريش. ثم نقل قول مجاهد- حيث لا يوجد الاقوله ان المعنى بالايه نمرود بن كنعان. بعد ذلك علل سبب اختياره هذا الراى دون الذى قاله مجاهد حيث قال (وانما اخترنا القول الذى قلنا فى تاويل ذلك لان ذلك تهديد من الله اهل الشرك به وهو عقيب قوله (وما ارسلنا من قبلك الارجا لا نوحى اليهم فاسالوا اهل الذكر.....) فكان تهديد من لم يقر بحجه الله الذى جرى الكلام بخطابه قبل ذلك من الخبر عمن انقطع ذكره عنه (٣١)

- ٣ - رده لقول ابن جريج.

عند بيانه معنى قوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لاعلم لنا انك انت علام الغيوب) المائدة ١٠٩ وبعد ذكره الاقوال وترجيح احدها قال (واما الذى قاله ابن جريج من ان معناه: ماذا عملت الامم بعدكم؟ وماذا احدثوا فتاويل لامعنى له لان الانبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها الا ما اعلمها الله من ذلك واذا سئلت عما عملت الامم بعدها والامر كذلك فانما يقال لها ماذا عرفناك انه كائن منهم بعدك وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسالته اياهم يدل على غير ذلك (٣٢)

الجانب الثانى

الراى فى تفسير الامام الطبرى :

ان القارى فى تفسير ابى جعفر الطبرى رحمه الله تعالى يجد فيه قوة شخصيه صاحبه العلميه ودقه ملاحظته

وعمق سبره لاغوار الاقوال وبحثه فى الاراء وقوة حججه' حتى يخرج بعد التمحيص والتدقيق' وتقليب مختلف الوجوه بتاويل للايته مدلل بالبراهين' ولا يملك المتتبع له الا ان ينساق مع الامام فى تاويلا ته للايات ويهز راسه علامه للرضا والقبول لما يقرا ثم يقرر معلنا ان تفسير الامام الطبرى هو التفسير الذى لايغالب ولايضارع الافى بعض هنات وقع فيها الامام فان لكل جواد كبوة ولكل قلم زله . ولكل عالم خطا.

ان الامام وهو اذا يجتهد ويدلى برايه' فان اجتهاده يصدر عن قواعد يتبعها ويلتزم بها. واذكر فيما يلى بعض تلك القواعد التى يسير عليها عند تفسيره ايات كتاب الله تعالى.

ـ ١ ـ جزمه بالراى الذى يختاره على انه الاصح فى تاويل الايه .

وذالك عندما يعثر على دليل قوى سالم من الاعتراض . فعند بيانه معنى الحج الاكبر من الايه الثالثه من سورة التوبه وبعد ذكر الاراء قال: (واولى الاقوال بالصحه عندنا قول من قال: (يوم الحج الاكبر) يوم النحر' لتظاهر الاخبار عن جماعته من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ان عليا نادى بما ارسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرساله الى المشركين وتلا عليهم يوم النحر هنا مع تظاهر الاخبار التى ذكرنا ها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم النحر (اتدرون اى يوم هنا؟ هنا يوم الحج الاكبر) (٣٣)

ـ ب ـ وعند بيانه معنى قوله تعالى (..... وايد ناه بروح القدس...) ٨٧/ البقرة وبعد ذكر الاراء قال (واولى التاويلات فى ذلك بالصواب قول من قال الروح فى هذا الموضع هو جبريل لان الله جل ثناؤه اخبرانه ايد عيسى كما اخبر فى قوله (اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذا ايدتك بروح القدس. تكلم الناس فى المهد وكهلا" واذ علمتك الكتاب والحكمته والتوراة والانجيل) فلو كان الروح الذى ايده الله به هو الانجيل لكان قوله (اذ ايدتك بروح القدس واذ علمتك الكتاب والحكمته والتوراة والانجيل) تكرير لامعنى له وذلك انه على تاويل قول من قال معنى اذ ايدتك بروح القدس انما هو اذ ايدتك بالانجيل وانا علمتك الانجيل وهو لايكون به مويدا الا وهو معلمه فذلك تكرير كلام واحد من غير زيادة معنى فى احدهما على الاخر وذلك خلف فى الكلام والله تعالى ذكره يتعالى ان يخاطب عباده بما لايفيدهم به فائدة....) (٣٤)

(وانظر٩/ ٢٣٨ عند تفسيره قوله تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ـ ٣٣ الانفال.

ـ ٢ ـ عدم الجزم بالراى الذى يوول به الايته .

اذا لم يجد الامام الطبرى دليلا قاطعا على المعنى الذى اختاره فانه لايجزم به فعندما تكلم عن (اصحاب الرس) ٣٨/ الفرقان' وبعد ذكر الاختلافات فى تحديدهم قال: (والصواب من القول فى ذلك قول من قال : هم قوم كانوا على بئر وذلك ان (الرس) فى كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك..... ولا اعلم لوما كانت لهم قصته بسبب حفرة ذكرهم الله فى كتابه الا اصحاب الاخدود فان

يكونوا هم المعنيين بقوله (واصحاب الرس) فانا سنذكر خبرهم ان شاء الله اذا انتهينا الى سورة البروج وان يكونوا غيرهم فلا نعلم لهم خبرا الاما جاء في جملته الخبر- وذكر حديثا" ثم قال: فلا ينبغي ان يكونوا المعنيين لان اصحاب الرس دمروا تدميرا....) (٣٥)

- ٣- التوقف عن تحديد المعنى لفقد الدليل.

وذلك حينما يكون الامر غير معلوم بالعقل ولانص عليه من قران او سنته. فعند بيانه معنى (وروح منه) في قوله تعالى (انما المسيح رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) النساء-١٧١- وبعد ان ذكر الاقوال المختلفته قال (ولكل هذه الاقوال وجه و مذهب غير بعيد من الصواب) (٣٦)

- ٤- اجابته عا تسا ولات قد ترد على معنى ما.

فعند بيانه من هم الموتفكات من الاية/ ٧١ / التوبته قال (فان قال قائل فان كان عنى بالموتفكات قوم لوط فكيف قيل الموتفكات فجمعت ولم توحد؟ قيل انها كانت قريات ثلاثا فجمعت لذلك ولذلك جمعت بالتاء على قول الله (والموتفكه اهوى) فان قال وكيف قيل؟ اتتهم رسلهم بالبينات وانما كان المرسل اليهم واحدا؟ قيل معنى ذلك اتى كل قريته من الموتفكات رسول يدعوهم الى الله فتكون رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم اليهم للدعاء الى الله عن رسالته رسلا اليهم كما قالت العرب لقوم نسبوا الى ابى فديك الخارجي الفديكات وابو فديك واحد...) (٣٧)

- ٥- عدم العدول عن الظاهر الى الباطن وعن العام الى الخاص الابدليل.

عند تفسيره (انما يريد الله ان يعذبهم بها) من قوله تعالى (فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد..) ٥٥ / التوبته وبعد ان ذكر الاثار قال (واولى التا ويلين بالصواب في ذلك عندنا التاويل الذى ذكرنا عن الحسن لان ذلك هو الظاهر من التنزيل فصرف تاويله الى مادل عليه ظاهره اولى من صرفه الى باطل لادلالته على صحته. (٣٨)

- ٢- وعند تف يره قوله تعالى (كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ١٦٧. البقرة يقول (.... فالذى هو اولى بتاويل الايته مادل عليه الظاهر دون ما احتمله الباطن الذى لادلالته له على المعنى بها) جامع البيان ٢ / ٧٥.

- ٣- عند بيانه معنى (لاتعتدوا من قوله تعالى (يايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) ٨٧ المائدة قال (.... وكان الله تعالى قد عم بقوله (ولاتعتدوا) النهى عن العدوان كله كان الواجب ان يكون محكوما لما عمه الله بالعموم حتى يخصه ما يجب التسليم اليه.....(٣٩)

- ٦- بيانه اوجه فساد الاراء المرجوحه.

احيانا يقوم الامام الطبرى ببيان اوجه فساد الاراء التى لا ياخذ بها.

فعند بيانه معنى (واقعدوا مع الخالفين من الايته/ ١٨٣/ التوبه قال: (والصواب من التاويل في قوله (الخالفين) ما قال ابن عباس (اى الرجال) فاما ما قال قتادة من ان ذلك (النساء) فقول لامعنى له لان

العرب لاتجمع النساء اذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون ولا بالوا والنون ولو كان معنيا بذلك النساء لقيل فالعدوا مع الخوالف او مع الخالفات...) (٤٠)

- ٧- اهتمامه بالسياق والسباق واللحاق وربط الايته ببعضها.

يراعى الامام الطبرى تاثير الايات ذات الموضوع الواحد بعضها على البعض من حيث المعنى :

- ١- لعند بيانه المراد من قوله تعالى (فلا وربك لا يومنون حتى يحكمونك فيما شجر بينهم.... ٩٥ النساء يقول (وهذا القول اعنى قول من قال عنى به المحتكمان الى الطاغوت اللذان وصف الله شانهم فى قوله (الم ترى الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك...) اولى بالصواب لان قوله (فلا وربك لا يومنون...) فى سياق قصته الذين اسدى الله الخبر عنهم بقوله الم تر الى الذين يزعمون ولا دلاله تدل على انقطاع قصتهم فالحاق بعض ذلك ببعض مالم تات دلالته على انقطاعه اولى.... (٤١)
- ٢- وعند تفسيره الايه ٧٤- من سورة الحج يقول (.....وانما قلت هذا القول اولى بتاويل ذلك لان ذلك فى سياق الخبر عن الالهته والذباب فان يكون ذلك خبرا عما هو به متصل اشبه من ان يكون خبرا عما هو منقطع..) (٤٢)
- ٣- وعند تفسيره قوله تعالى (... ولا تاخذكم بهما رافته فى دين الله...) -٢- النور. يربط بين اجزاء الايه ويوول بناء على ذلك حيث يقول (.... وانما قلنا اولى التاويلين بالصواب لدلالته قول الله بعده (فى دين الله) يعنى فى طاعته الله التى امركم بها' ومعلوم ان دين الله الذى امربه فى الزانيين اقامته حد الله عليهما..(٤٣)
- ٨- يرجح القول المستند الى الواقع المعلوم.

لعند بيانه معنى (من الكافرين) فى خطاب فرعون لموسى عليه السلام فى قوله تعالى (.... وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين) ١٩/ الشعراء/ يقول ابو جعفر: (.... وهذا القول الذى قاله ابن زيد اشبه فى تاويل الايه - وابن زيد قال: ربيناك فينا وليد ا" فهذا الذى كافاتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا. ا.ه..... لان فرعون لم يكن مقرا بالربوبته وانما كان يزعم انه هو الرب فغير جائز ان يقول لموسى ان كان موسى عنده على دينه يوم قتل القتل' كما قاله السدى: فعلت الفعلته وانت من الكافرين' الايمان عنده - هو دينه الذى كان عليه موسى عنده....(٤٤)

من خلال هذا يتضح لنا ان الامام الطبرى لم يكن مجرد ناقل لاقوال من سبقه من العلماء بل انه كان يوجه اقوالهم ويختار منها ما شهد له الدليل ويرفض مالا دليل عليه واحيانا كثيرة يخرج عن جميع الاقوال ليفسر الايته باجتهاده لهذا نستطيع ان نطلق عليه بانه المفسر المجتهد' وهذه دعوة لكل طالب عالم ان ينهل من معينه الذى لا ينضب .

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الهوامش

١ـ ٢ـ ٣	جامع البيان	١/ ٣٦
٤ـ	التفسير والمفسرون	١/ ٢٠٥
٥ـ	المصدر السابق	١/ ٢٠٧ـ ٢١٠
٦ـ	مقدمته ابن خلدون/ ٣٨٣/ دائرة المعارف الاسلامية ٥/ ٥/ ٣٠ ضحى الاسلام	٢/ ١٤٤
٧ـ ٨ـ	الاتقان في علوم القران	٢/ ١٩٠
٩ـ	معجم الادباء	١٨/ ٤٢
١٠ـ	التفسير والمفسرون	١/ ٧٢
١١ـ	جامع البيان	١/ ٣٢ـ ٣٤
١٢ـ	دراسات اسلامية	١/ ١٤٧
١٣ـ ١٤ـ	جامع البيان	١٥ـ ١٨٨ ـ بتصرف
١٥ـ	المصدر السابق	٦/ ٧٢ بتصرف
١٦ـ	المصدر السابق	١٤/ ٦٣ـ ٦٤ بتصرف
١٧ـ	المصدر السابق	٧/ ٢٦
١٨ـ	المصدر السابق	٨/ ٦٠ بتصرف
١٩ـ	المصدر السابق	١١/ ٧٣ وانظر ٣/ ٢٥٤
٢٠ـ	المصدر السابق	١١/ ٣٩
٢١ـ	المصدر السابق	١٩/ ٤٨ـ ٤٩
٢٢ـ	المصدر السابق	١٩/ ٥٠ وانظر ١٨/ ٣
٢٣ـ	المصدر السابق	١٩/ ٤٩ بتصرف
٢٤ـ	المصدر السابق	١٩/ ٥٠
٢٥ـ	المصدر السابق	١٧/ ١٠٤
٢٦ـ	المصدر السابق	١٨/ ١٤
٢٧ـ	التفسير والمفسرون	١/ ٢١٧
٢٨ـ	جامع البيان	١٢/ ٤٠ بتصرف
٢٩ـ	المصدر السابق	١٧/ ٢٨٠
٣٠ـ	المصدر السابق	١٥/ ١٠١
٣١ـ	المصدر السابق	١٤/ ١١٢ وانظر ١٥/ ٢٤١

ـ ٣٢ ـ المصدر السابق	٧/ ١٢٦
ـ ٣٣ ـ المصدر السابق	١٠/ ٧٤
ـ ٣٤ ـ المصدر السابق	١/ ٣٠٥
ـ ٣٥ ـ المصدر السابق	١٩/ ١٤ ـ ١٥
ـ ٣٦ ـ المصدر السابق	٦/ ٣٦
ـ ٣٧ ـ المصدر السابق	١٠/ ١٧٨ ـ ١٠/ ١٨٤ ـ ١/ ٣٧٩
ـ ٣٨ ـ المصدر السابق	١٠/ ١٨٥
ـ ٣٩ ـ المصدر السابق	٧/ ١٢
ـ ٤٠ ـ المصدر السابق	١٠/ ٣٠٤
ـ ٤١ ـ المصدر السابق	٥/ ١٥٩
ـ ٤٢ ـ المصدر السابق	١٧/ ٢٠٣
ـ ٤٣ ـ المصدر السابق	١٨/ ١٦٠
ـ ٤٤ ـ المصدر السابق	١٩/ ٦٦

المراجع

ـ ١ ـ السيوطي جلال الدين	الاتقان في علوم القران	ايران ـ ت ـ محمد ابو الفضل ابراهيم
ـ ٢ ـ الذهبي محمد حسين	التفسير والمفسرون	الطبعة الثانية (١٩٧٩)
ـ ٣ ـ الطبري محمد بن جرير	جامع البيان	/ ط/ دار الفكر ـ بيروت ١٩٨٨
ـ ٤ ـ دائرة المعارف الاسلامية	عدد من المستشرقين	/ ط/ دار المعرفة لبنان ـ
ـ ٥ ـ الدربني محمد فتحي	دراسات اسلامية	/ ط/ دمشق
ـ ٦ ـ ابن خلدون	المقدمة	/ ط/ ايران

أحمدُ دلالها والرب بانعها ... وجبريلٌ ينادي في نواحيها
من يشتري الدار في الفردوس يغمرها ... بركعة في ظلام الليل يُحييها
أين الملوك الذي عن حضها غفلت ... حتى سقاهم بكأس الموت ساقيها
أفنى القرونَ وأفنى كلّ ذي عمر ... كذلك الموت يُفني كل من فيها
والموتُ أحدق بالدنيا وزخرفها ... والناس في غفلة عن ترك ما فيها